المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

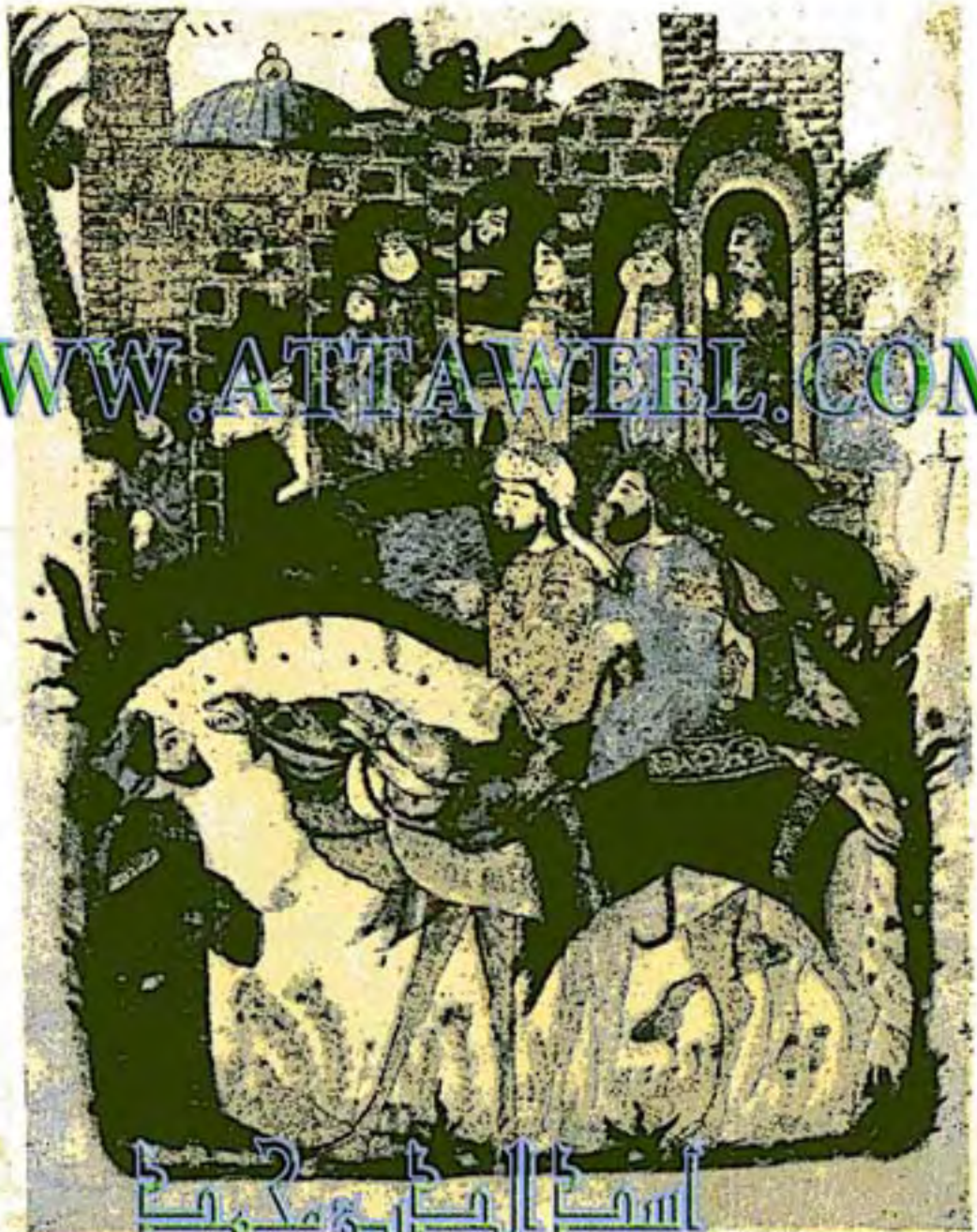

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الحلبة محمد

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ جمهورية العراق
المجلد السابع والعشرون ـ العدد الاول ـ ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م

قراءة في
نص قديم

وصف الجبل

لابن خفاجة الاندلسي ت ٥٣٣ هـ

دراسة تحليلية

د . هدى شوكت بهنام

كلية التربية ـ قسم اللغة العربية

الجامعة المستنصرية

تمهيد :

ان وصف الطبيعة من اكثر الاغراض الشعرية سعة وتنوعاً في الادب الاندلسي لجمال البلاد الاندلسية التي احتفت بالباب الشعراء فراحوا يوظفون فنهم وموهبتهم لرسم وبيان جمال هذه الطبيعة ، حتى صارت جزءاً لا يتجزأ من شخصيتهم .

وابن خفاجة واحد من شعراء جعلوا الطبيعة همهم الاول وشغلهم الشاغل ، فصارت لديه مفترشاً ومتكأ لكل فنه الشعري مهما اختلفت موضوعاته وتباينت اغراضه . وقد تميز ابن خفاجة بقصيدة وصف الجبل حين جعل الجبل مشاركاً لآلامه ومعاناته واخذ العظة والاعتبار من شموخه ورسوخه .

سيرة الشاعر :

وقبل البدء بتحليل هذه القصيدة لابد من تعريف سريع بشخصية شاعرها ؛ فهو ابو اسحاق ابراهيم بن ابي الفتح بن خفاجة الاندلسي من اعيان مدينة « شقر » وهي قرية قريبة من شاطبة ، وبينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلًا ، وكان عالماً بالآداب ، صدرا في البلغاء ، تقدم في النثر والنظم ، فابدع واجاد في فنون الشعر المعروفة من مدح ورثاء وتشبيب ، وكان لا يتكسب بالشعر ، ولم يتزوج قط ، وديوان شعره[١] مروي عنه ، متنافس فيه توفي سنة (٥٣٣ هـ) وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .[٢]

حقائق في حياة ابن خفاجة :

هناك بعض الحقائق تساعد في فهم شخصية ابن خفاجة وتلقي الضوء على قصيدته في وصف الجبل :

اولًا : ماورده الضبي في البغية نقلًا عن بعض اشياخه « انه كان يخرج من جزيرة شقر ، وهي كانت وطنه ، في اكثر الاوقات الى بعض تلك الجبال التي تقرب من الجزيرة وحده ؛ فكان اذا صار بين جبلين نادى باعلى صوته : يا ابراهيم تموت يعني نفسه فيجيبه الصوت ، ولا يزال كذلك حتى يخرّ مغشياً عليه »[٣] ، وهذا ما يؤكد خوفه من الموت ومن الاحساس بالزمن .

ثانياً : انه لم يمدح احداً في عهد ملوك الطوائف الذي نشا فيه المعتصم بن صمادح الا قصيدة واحدة ، وانه عاش مكتفياً حتى اذا أقبل عهد المرابطين قام بمدحهم بشعر مستفيض منكراً اياهم بامره ومتشبثاً بالبارزين منهم . ومن هذا نجد في حياته مرحلتين : الاولى : عكوفه على المجون وحياة اللهو التي ابتعد فيها عن ذوي الجاه والسلطة ، والثانية : تنسكه وتوبته وفيها احس بضعفه البشري فتعلق برجال الدولة مع مروره بمدة توقف فيها عن قول الشعر ، وتتفق عودته الى النظم مع دخول الامير ابن تاشفين ، وهذا تتفتق موهبته عن قصائد كثيرة ومطولات جاء اكثرها في فترة انبعاث قريحته .

ثالثاً : ان المؤثرات الخارجية في شعره جاءت مجتمعة لديه متفرقة ومجزأة لدى غيره من الشعراء ، مع تفرده ببعض المؤثرات الاخرى ، فقد انفرد في تاثره بعبد المحسن الصوري في بناء القصيدة كلها على الجناس الناقص ، ولعله قد تاثر ببعض اشعار الصنوبري - وان لم يذكر ذلك - لكنه ذكر انه تاثر بمهيار الديلمي في الاشارات الى الاماكن النجدية والحجازية ، وادرك طريقة المتنبي في لف الغزل بالحماسة ، وهذه المؤثرات تدفع بمتلقيها الى محاولة الاستقلال والابداع .[1]

رابعاً : استغلاله للطبيعة في شعره معللاً ذلك في مقدمة ديوانه ومشيراً الى نفسه بضمير الغائب « اكثار هذا الرجل في شعره من وصف زهرة ونعت شجرة وجرية ماء ورنة طائر ما هو الا لانه كان جانحاً الى هذه الموصوفات لطبيعة فطر عليها وجبلة ، واما لان الجزيرة كانت داره ومنشاه وقراره ، وحسبك من ماء سائح وطير صادح ، وبطاح عريضة وارض اريضة فلم يعدم هنالك ، من ذلك ما يبعث مع الساعات أنسه ، ويحرك الى القول نفسه ، حتى غلب عليه حب ذلك الامر ، فصار قوله فيه عن كلف لا تكلف ، مع اتتاع قام مقام اتساع ، فاغناه عن تبذل وانتجاع »[2] ، فانقطع الى رؤية الجمال في الطبيعة مستغنياً عن التكسب بالرزق ، فحب الطبيعة اما في جبلته او اثر من جمال الطبيعة المحيطة به . ونتيجة لصلته المأساوية بالطبيعة اصبحت لديه متكأ للموضوعات الاخرى من مديح ورثاء وغيرهما ، مع تغلغل صورتين بارزتين في شعره : صورة الفرس والبحر بين الاثنين من قوة وعنف وحيوية وتوثب[3] ، وستبرز آثار هذه القوة والتوثب خلال بعض صوره في قصيدة الجبل كوصفه بالارعن وذكر بعض صور البحار والريح وتزاحم النجوم - كما سنرى ذلك عند تحليل القصيدة .

خامساً : ان شعره الذي ضمه الديوان قد جمعه في آخر حياته نزولاً عند رغبة بعض اخوانه ، وقد اضفى عليه بنفسه تغييرات واصلاحات (لاستفادة معنى او لاستجادة مبنى) .

ويتبين مما سبق صلة الطبيعة عنده بالعبرة او بمشكلة الفناء التي ألحت على نفسيته وستتبين واضحة في قصيدته (موضوع الدراسة) إذ تجاوز بها كل ما قاله في شعر الطبيعة ، فوقفته إزاء الطبيعة والفناء معاً - كما يراها د . احسان عباس - تفاعلاً عاطفياً جديداً قائماً على الرؤية العميقة وعلى التشخيص معاً[4] .

قال ابن خفاجة في وصف الجبل والاستعبار منه :

بعيشكَ هل تدري أهوجُ الجنائبِ
تحُبُّ برحلي ام ظُهورُ النجائبِ
فما لُحتُ في أولى المشارقِ كوكباً
فاشرقتُ حتى جُبتُ اخرى المغاربِ
وحيداً تهاداني الفيافي فاجتلي
وجوه المنايا في قناع الغياهبِ
ولا جاز الا من حُسامٍ مُصمِّمٍ
ولا دار الا في قتود الركائبِ
ولا أنس الا ان أضاحك ساعةً
ثغورُ الاماني في وجوه المطالبِ
بليلٍ اذا ما قُلت قد باذ فانقضى
تكشّف عن وعدٍ من الظنّ كاذبِ
سحبتُ الدياجي فيه سودَ ذوائبٍ
لاعتنق الآمال بيضَ ترائبِ
فمزّقتُ جيبَ الليلِ عن شخص اطلسٍ
تطلّعَ وضّاح المضاحكِ قاطبِ
رأيت به قطعاً من الفجرِ اغبشاً
تأمّلَ عن نجمٍ توقّد ثاقبِ
وارعنَ طمّاح الذؤابة باذخٍ
يُطاول اعنانَ السّماء بغاربِ
يُسدُّ مهبُّ الريح عن كلِّ وجهةٍ
ويزحم ليلا شُهبَهُ بالمناكبِ
وقورٍ على ظهر الفلاةِ كأنّه
طوال الليالي مُطرقٌ في العواقبِ
يلوث عليه الغيم سودَ عمائمٍ
لها من وميضِ البرقِ حُمرُ ذوائبِ
اصختُ اليه وهو اخرسُ صامتٌ
فحدّثني ليلُ السُّرى بالعجائبِ
وقال ألا كم كنتُ ملجأ فاتكٍ
ومطوىً اوّاهٍ تبتّلَ تائبِ
وكم فسحٍ بي من مُدلجٍ ومؤوّبٍ
وقال بظلّي من مَطيٍّ وراكبِ
ولاطمَ من نُكبِ الرّياح معاطفي
وزاحم من خُضرِ البحارِ جوانبي

فمـــا كان الّا ان طـوتهم يَـدُ الـرّدى
وطـــارت بهم ريـحُ النـوى والنـوائبِ
فمـــا خفقَ ايكي غـيرَ رجفـة اضلُعٍ
ولا نـــوحَ وُرقي غـيرَ صرخـةِ نـادبِ
ومـــا غيضَ السُلـوان دمعي وانمـا
نـــزفتُ دمـــوعي في فـراق الاصاحب
فحتى متى ابقى ويظعنُ صـــــاحبٌ
أودّعُ منـ ـه راحـــلاً غـــيرَ آيبِ
وحتى متى أرعى الكـواكبَ سـاهـراً
فمن طـــالـعٍ اخـرى الليـالي وغـاربِ
فـرُحمـاكَ يـامـولاي دعـوةَ ضـارعٍ
يمـــدُّ الى نعمـــاكَ راحـــةَ راغبِ
فـــاشفقني من وعثـهِ كُـلّ عِبـرةٍ
يُتـرجمهـا عنـه لسـانُ التجـاربِ
فسـلّى بما ابكى وسرّى بمـا شجـا
وكـان على ليـل السُرى خيرَ صـاحبِ
وقلتُ وقـــد نكّبتُ عنـــه بطِيبَـــةٍ
ســـلامٌ فـــإنّـــا من مُقيمٍ وذاهبِ[٨]

تحليل القصيدة :

١ - [بعيشك هل تدري أهوج الجنائب
تخب برحلي ام ظهور النجائب]

يمكن تقسيم هذه القصيدة التي تتالف من ستة وعشرين بيتاً على ثلاثة اقسام : مسيرة الشاعر ومناجاة الليل تعبيراً عن وحدته ، وصف الجبل ومحاورته ، الاستعبار .

يَبدأ الشاعر ضمن القسم الاول - قصيدته بقَسَم (بعيشك) موجهٍ الى مخاطب لم يحدده ليعط نصائحه في الحكمة والاستعبار لكل شخص يمكن ان يتعظ بهذه القصيدة التي تشكل خلاصة تجاربه في الحياة ، مع نوع من الاستغراب المصحوب بالمساءلة والحلف بمسالة عزيزة هي عيش الانسان وهذا نوع من الخطاب مالوف في القصائد العربية ، كما نقول بعمرك ، بحياتك ، وهنا يقول (بعيشك) ، وقد يقال وعيشك ، ويستفسر من المخاطب هل رياح الجنوب السريعة الهوجاء تعصف بجماله ام ان هذا ميلان ظهور هذه الجمال .

والشاعر هنا استخدم الخبب وهو ضرب من المشي والعدو استعاره للريح للدلالة على سرعتها ، كما استخدم الجناس في الجنائب والنجائب ، والتشبيه المفرد في الجنائب ، ثم وصف الابل بانها نجيبة .

والسؤال هنا : شاعر اندلسي من القرن السادس الهجري لم يترك تقليد القصائد العربية في افتتاحها بذكر الرحلة قبل التخلص الى موضوعه الرئيس وهو الاستعبار ؟ لأن ذكر الرحلة فيه حنين وشوق وحزن وهو اقرب الى ذكر رحلة الشاعر العربي في المشرق على الرغم من ان الشاعر الاندلسي لم يعش في الصحراء ولم يشهدها ، وعلى الرغم من بعده عنها تجده في موضوع يتصل بكوامن النفس وجيشانها واستلهام الاحزان يعود الى موضوع تقليدي قديم ، وقد يكون الشاعر ابن خفاجة - وهو الشاعر الاندلسي المتميز - يبحث عن النموذج الفني الذي تقاس به جودة القصائد العربية ، وهو ايراد المقدمات التقليدية في افتتاح القصائد ، اذ ظل هذا الانموذج الفني الى العصور الاندلسية المتاخرة ينظم به شعراء الاندلس وغيرهم من شعراء العربية .

٢ - [فما لُحت في اولى المشارق كوكبا
نـــاشرقت حتى جبت اخـرى المغـارب]

إن الشاعر في هذا البيت تَعب تانه في الطريق ، فيرسم صورة مبالغة - كما هي عادة الشعراء - بانه ما إن رأى اول الكواكب من ناحية المشرق واستبشر لكونه سيهتدي به في طريقه فقال [فاشرقت] حين استعار لفرحته الاشراق حتى نجده قد تاه في طريق واسعة لان هذا الكون لم يوصله الى ضالته ، بل استمر في ضياعه حتى وصل الى آخر كوكب في المغرب فما بين اول كوكب في المشرق وآخر كوكب في المغرب لم يستطع ان يجد طريقه التائهة الضائعة ، واستخدامه مفردة [لحتُ] كانت دليل فرحة التائه السريعة باول امل للخلاص ، وعبارة [حتى جبت] كانت دليل خيبة الفاشل السريعة بضياع الخلاص ، فقد اجاد الشاعر هنا في التعبير عن تفسيته القلقة الحائرة الضائعة التي تنشد الخلاص فلا تجده كما اجاد في التعبير عن حالتي الفرح السريع والحزن السريع ، مضيفاً اليهما عنصر الطباق في المشارق والمغارب .

٣ - [وحيـداً تهاداني الفيافي فـاجتلي
وجـــوه المنـــايـــا في قنـــاع الغيـاهب]

ثم يعبر الشاعر بصراحة بانه وحيد في هذه الصحارى (الفيافي) فقال [فاجتلي] اي فيكشف عن وجوه متقنّعة بالظلمة فاستعار صفة انسانية للمنية وهي وجوه ، ليكشف عن الموت المحتم في هذه الظلمة كما استخدم المجاز والتشخيص في تهاداني الفيافي واستعار القناع للغياهب .

٤ - [ولا جـــاز الّا من حُسـام مصمم
ولا دار الّا في قتـــود الـــركـــائب]

ويعود ابن خفاجة ليؤكد وحدته في هذه الصحراء ، فلا جار له الّا حسام اخرس اصم ، ولا دار له الّا خشب الرحل ، فهو وحيد من كل ناحية ، ويستخدم لمعناه اسلوب القصر ليزيد من صورة الوحدة التي يعيشها .

٦ - [ولا أنس الا ان اضاحك ساعة
أمور الاماني في وجوه المطالب]

ويبقى هذا الاسلوب في البيت التالي ليتحدث عن نفسه [...] رمز الاماني ، فاستعار [التمر] ليشخص هذه الاماني ، [...] للمطالب [الوجوه] للمطالب فكون منها تشبيه صورة ، وهنا [...] التجسيد لامور معنوية غير محسوسة ، فيضاحك [...] بطلبها ويجعل لها ثغوراً وللمطالب وجوهاً ، فيسقط [...] الانسانية المحسوسة على امنياته غير المحسوسة .

٧ - [يسل اذا ما قلت قد بان فانقضى
تكشف عن وعد من الظن كاذب]

تبرز [...] امانيه هذه بانقضاء الليل الطويل وظهور الصباح ، فيبين [...] ليله الذي ما ان يظن انه انقضى حتى يجده جاثماً [...] ، كان الليل عنده انساناً يتمنى ان يبيد وينتهي ، ويعطيه صفة انسانية اخرى هي كذب الوعد ، واي وعد ؟ إنه وعدُ بداء في ظنه هو ولم يكن موجوداً اصلًا ليمني نفسه بقرب انتهاء الليل .

٧ - [سحبت الدياجي فيه سود ذوائب
لاعتنق الآمـــالَ بيضَ تـــرائب]

ويؤكد الشاعر معاناته في وحدته التي اطالت ليله ، فيقول سحبت السواد والظلمة لاجعلهما سواد شبابي لتكون املًا لي في تشبيبي وكهولتي ، فرسم بذلك صورة تضاد ؛ ففي سواد الشعر امل يضيء حياته ، كما ان الشيب يشرق ويضيء بلونه فقط ، فقد أراد ان يجعل من سواد الدياجي املًا ينير له حياته في ايام الكبر ، وقد ساعدته في رسم صورته مجانسته بين (ذوائب وترائب) ومطابقته بين (سود وبيض) مكنياً بذلك عن ايام الشباب التي يكون فيها شعر الانسان اسود ، وعن ايام المشيب التي يكون فيها شعر الانسان ابيض ، كما انه جسد الآمال واعطاها صفة انسانية وقال ليعتنقها اي ليلبسها في عنقه اي ليتمسك بها فتمينه في تجربته هذه ، وذكره للذوائب اراد به ريعان الشباب لان اول ما يبيض في شعر رأس الانسان هو الذؤابة فاذا ما كانت سوداء اللون يعني ان المرء في عزّ شبابه .

٨ - [فمزقت جيب الليل عن شخص اطلس
تطلُّـــع وضّـــاح المضـــاحـــك قـــاطب]

ويقول ان هذه الآمال ، وهذا السواد الذي اردته املًا لي حين مزّقته [وهنا استخدم الفعل مزّق] ليدل على قوة معاناته وغضبه وحزنه من وحدته وآلامه ، والذي يمزق جيبه هو من يبلغ به الغضب واليأس حداً كبيراً يعجز معه عن عمل اي شيء فيمزق ملابسه ليفرغ كبته ومعاناته ، فمزّق هنا الليل اي حين حاول القضاء على ظلمة حياته ظهر له ذئب يتطلع اليه مقطباً ، ومظهراً اسنانه ليس للمضحك ولكن ليمزقه .

وهذه صورة جميلة يرسمها الشاعر لحزنه الذي بلغ به المدى ، فهو حين حاول القضاء على حزنه ظهر له ذئب يحاول افتراسه والايقاع به ، فالكناية هنا انه هجمت عليه الاحزان والآلام تنهش به من جديد .

ولنتأمل المقابلة في [المضاحك ، قاطب] فالشاعر لم يقل اسنانه المتقدمة او الثنايا ، وانما قال المضاحك ، ولماذا وصفها بالمضاحك اي التي تظهر عند الضحك ؟ وهل رآه ضاحكاً ؟ هيهات ، بل رآه حزيناً يهجم عليه وهو مقطب ، فاستعار صورة محسوسة في (مزّق جيب الليل) ليقول انه حاول التغلب على احزانه وشبه احزانه بالذئب المتطلع المقطب المظهر لاسنانه ، المتهيىء للانقضاض ، وقال [قاطب] ولم يقل مقطباً حيث اختار صيغة اسم الفاعل ليدل على قيامه بالفعل .

٩ - [رأيت به قطعاً من الفجر اغبشا
تـــأمـــل عن نجم تـــوقـــد ثـــاقب]

ثم يتخلص الشاعر من وصف الليل الى وصف الجبل في المحور الثاني من القصيدة فيمهد لذلك ليقول ان هذا الليل الذي ظل متأملًا به فترة طويلة بدأ يكشف عن الصباح ، فقد رأى فيه قطعاً من الفجر الذي يحتوي بقية من الليل بدليل وجود النجم الذي لم يغرب بمجيء الصباح لتوقده ، ويمكن ان نتلمس بعد ياسه بعض الامل في ليله الذي داخله ضوء الفجر وتلألأ فيه نجم ثابت متوقد ، فجسد الفجر ، واوقد النجم ، وجعل الليل يتأمل في هذا الفجر في ضوء هذا النجم لينتشل من حزن نفسه المكبوتة (الذي كنّى عنه بالليل) بعض الامل في ضوء من الفرح والاستبشار .

١٠ - [وارعنَ طفـــاح الذؤابـــة بـــاذخ
يطـــاول اعنـــان السمـــاء بغـــارب]

الارعن : الرعن : انف يتقدم الجبل ، والجبل الطويل ، والاهوج في منطقة والاحمق المسترخي[٩] ، طمح بصره اليه كمنع : ارتفع ، والطماح : الشره[١٠] .

الذؤابة : الناصية او منبتها من الرأس[١١] . الغارب : الكاهل او ما بين السنام والعنق[١٢] . ثم يبدأ بوصف الجبل (في القسم الثاني من القصيدة) ويقول (وارعنَ) بالفتح اي (ورب ارعنٍ) واللفظة هنا مجرورة بالفتحة بدلًا من الكسرة بدليل جرّ ما بعدها ، فهذا الجبل الطويل الشره في علوه اي المرتفع جداً حتى انه لشدة علوّه وكان كاهله قد وصل الى السماء ، فجسد الجبل باعطائه صفة جسد الانسان ، واعنان السماء : نواحيها ، والباذخ : من البذخ : الكبر[١٣] ، فهو من علوه وطوله وارتفاعه يناقس اعنان

السماء في ارتفاعها وتطاولها ليصل الى هذا العلو برعونة وكانه قد وصل في علوه هذا الى السماء .

١١ - [يسد مهب الريح عن كل وجهة
ويـــزحم ليـــلا شهبـــه بـــالمنـــاكب]

المناكب : جمع منكب وهو مجتمع رأس العضد والكتف ، والموضع المرتفع عن الارض ، ثم ان هذا الجبل مرتفع جداً وكانه ملتصق بالسماء ، يسد ويحجب الريح من كل جهة شهبه ، الشهب في الالوان : البياض الغالب على السواد وهم النجم المضيء اللامع ، والشُّهب : الجبل علاه الثلج ، وفي الليل تزدحم النجوم فوقه وكانها تصطدم بمنكبه اي باعلاه ، وهذا دليل على ارتفاعه الشديد ، وهنا يستعير المنكب وهو صفة انسانية جسدية ليستدل بها على ارتفاع الجبل ، ويأخذ الفعل (يزحم) وهو فعل زاخر بالحركة وكان النجوم والشهب في عملية تزاحم واصطدام مع اعلى الجبل وجانبه .

١٢ - [وقور على ظهر الفلاة كانه
طـــوال الليـــالي مطـــرق في العـــواقب]

وتحول الجبل هنا الى انسان وهذا ما اشتهر به ابن خفاجة في تجسيم وتشخيص الطبيعة ومحاكاتها وجعلها انساناً يشاركه همومه واحزانه ، فضخامة الجبل وهيبته واستقراره في مكان واحد لزمن طويل جداً جعل الشاعر يعطيه صفة الوقار ، صفة تطلق على الانسان المتزن المهيب الجانب ، فهذه الصحراء الواسعة المترامية الاطراف يقف في وسطها الجبل ثابتاً ساكناً لا يتحرك ، فهو شيخ وقور متزن متأمل في الحياة ، مفكر في عواقب الامور ، يأخذ منه العبرة في جثومه واستقراره كالمفكر ، ولم يقل مفكراً بل مطرقاً لانه قد حنى رأسه للتفكير ، فهو على الرغم من ارتفاعه الخارق محني الرأس لان قمة هذا الجبل عريضة ، فيها انحناء الى جانب من الجوانب فاخذ منها صفة المطاطىء رأسه للتفكير ، مكوناً تشبيه صورة .

١٣ - [يلـوث عليه الغيم سود عمائم
لهـــا من وميض البـــرق حمـــر ذوائب]

ويستمر الشاعر في اعطاء صورة هذا الجبل ، فعندما تتلبد السماء بالغيوم يتكدر بياضه وصفاؤه بعمائم سود يضعها على رأسه ، وعندما يحدث البرق ، فإن ذوائب رأس هذا الشيخ (الجبل) الذي قد لبس العمامة السوداء تكون حمراء من وميض البرق ، فهنا اكتفى بصورة حسية في اعطاء مظهر هذا الشيخ عند المطر فاستخدم ما يشبه الطباق في سود - حمر ، مع استعارة صفات انسانية للجبل ليكوّن تشبيه صورة .

١٤ - [اصخت اليه وهو اخرس صامت
فحـــدثني ليـــل السرى بـــالعجـــائب]

انصت الشاعر الى الجبل على الرغم من انه جامد فشبهه بالاخرس الصامت وهو على الرغم من سكوته كان معبراً ودالّا لان مسير الشاعر في الليل جعله يتخيل حديثاً وبصوت مسموع عال مع هذا الجبل ، وكانت احاديثه مليئة بالعجائب ، فاختار الالفاظ (اصخت) ولم يقل (استمعت) او (اصغت) ، ليسمع صوتاً عالياً ، وحدثني ليدل على وجود حديث متبادل بينه وبين الليل عن هذا الجبل الصامت الوقور وما مرّ به من حوادث ، فاختار صورة متقابلة : الصمت والحديث ، فلم يكتف بتشخيص الجبل بل ساعده في ذلك الليل ، ليل السرى خاصة الذي يسير فيه الناس فجسده بالحركة والحديث .

١٥ - [وقـال ألا كم كنت ملجا فـاتك
ومـــــوطن أوّاه تبتـــــل تـــــائب]

الأوّاه : الكثير الدعاء .

ويستمر ابن خفاجة في رسم الصور المتناقضة فهذا الجبل كان له ماض وذكريات ، فقد كان ملجأ للناس ، واي ناس ؟ فاختار انموذجين متناقضين : فهو ملجأ حصين للفاتك القاتل يلجا ويتحصن في الجبل من الاعين فيامن فيه ، وهو ايضاً موطن للزاهد الداعي ربه التائب عن ذنوبه يترك اهله وناسه ويتخذ الجبل موطناً له ويعتكف فيه ويعيش حياته ذاكراً الله داعياً إياه ومصلياً تائباً عن ذنوبه ، فاختار للفاتك كلمة (ملجأ) وللتائب (موطن) مطابقاً ومختاراً المعاني المتناقضة وراسماً تشبيه صورة .

١٦ - [وكم مـرّ بي من مُدلج ومؤوّب
وقـــــال بظـــــلي من مطيٍّ وراكب]

ويستمر الجبل ايضاً في الحديث عمن مرّ به من نماذج الناس المختلفة التي تدعو الى الاستعبار ، فقد مرّ به المدلج السائر في اول الليل ، والمؤوب : من الاوب ، والتاويب : الرجوع ، والسير جميع النهار او تباري الركاب في السير[١١] ، وهنا المقصود التائب الراجع الى ربه ، فقد مرّ في هذا الجبل الانسان السائر في الليل والسائر في النهار فجمع بين ضدين : الليل المظلم والنهار المضيء ، فالاول هو من عمل ذنباً ولجا الى الجبل ليلًا ليحتمي فيه بدليل ذكره المؤوب وهو التائب الذي لا يخاف من ذنبه ويسير في النور ، اذن الاول هو المقترف ذنباً ، فحينئذ تكون الصورة انه يمرّ به المذنب والتائب ، ويستظل به المطي والراكب ليجد راحته من تعب الهاجرة ، ويرد الليل ، فيهتاح من الطريق بحرّه وبرده لذلك فالجبل ماوى لمختلف الناس ، وقد اختار الشاعر منهم المذنب والتائب ليجمع بين نقيضين جرياً على طريقته التي التزم بها من بداية القصيدة ، وهنا لم يقل [استظل] ، وانما قال [بظلي] اي انه ظل من الهاجرة للمطي والراكب فاختار تركيباً مختصراً ليكون ابلغ في التعبير .

١٧ - [ولاطم من نكب الرياح معاطفي
وزاحم من خضر البحـــار جـــوانبي]

ثم يتحدث الجبل عن الرياح التي كانت تتلاطم امواجها على سفوحه ، فاستعار المعاطف للسفوح وكانها اردية ثقيلة على جوانب الجبل وهي خضراء يانعة استعارت خضرتها من سواحل البحار الخضر ، اي انه جبل ناضر زاخر بالحياة ، فجوانبه خُضْرٌ والرياح تمرُّ به ، فاختار افعالاً لها حركة وحياة لتتناسب مع الصورة الحيوية التي يريدها ، (لاطم معاطفي من نكب الرياح) ، اي ان الرياح تضرب بقوة تتلاطم ، (وزاحم جوانبي) ، فالخضرة اليانعة مزدهرة وتتسع بسرعة وتتزاحم على جوانبه .

١٨ - [فما كان الّا ان طوتهم يد الردى

وطـــارت بهم ريـــح النـــوى والنـــوائب]

وهنا انتقل الشاعر - في قسم القصيدة الثالث - بصورة مفاجئة من صورة مليئة زاخرة بالحياة الى صورة حزينة ، فتلك الحياة المزدهرة ماتت وانتهت ، فقد طوى الردى كل من مرّ بالجبل وريح البعاد والمصائب ابعدتهم عن طريقه ، وهنا يكمن سرّ حزن الجبل ، فبعد هذه الحياة الزاخرة ، والحركة التي كانت على سفوحه ممن يمرّ به من الناس ومن حركة الرياح ، والخضرة على سفوحه ، فتأتي الريح الناعبة ويطوي الردى ويقتل كل حياة فيه ويقول : (طارت بهم) ، يريد سرعة زوال هذه الحياة الجميلة في هذا الجبل ، فاستعار الطيران للريح كناية عن السرعة وجانس بين النوى والنوائب .

١٩ - [فما خفق ايكي غير رجفة أضلُع

ولا نَـــوْحُ وُرْقي غـــير صرخـــة نـــادب]

ثم يؤكد سرعة زوال هذه الحياة ، فما فعل الشجر حين وصله الموت غير رجفة رجفها ، والحمام لم يفعل اكثر من صرخة يندب فيها حظه ، فسرعة مجيء الموت لم يعطِ فرصة للحياة الموجودة على الجبل ، فقد بادرها الموت بسرعة وجرفها وقضى عليها ، ولم يكن موتاً بطيئاً ، لذلك لم تعبّر الاشجار عن خوفها إلّا برجفة والحمام غير صرخة ، وقد اختار لكل شيء فعلاً مناسباً ، فاستعار للاشجار خفق القلب للتعبير عن الخوف ، ولم يطلق كلمة (اغصان) للايك بل قال [اضلع] وجعل لها رجفة ، فهو لم يستخدم غير الصور الانسانية المحسوسة واطلقها على ما هو غير انساني ، اما الحمام فقد اختار له (النوح) وليس الهديل لانه موقف حزن وموت ، ولكن النوح تحول الى صرخة شخص يندب ويتفجع ، فهنا تشخيص قد بلغ شأوه في صور ابن خفاجة الاستعارية وتشبيهاته الصورية ، وصوره فيها توازن دائماً : خفق - نوح ، ايكي - ورقي ، رجفة - صرخة .

٢٠ - [وما غيْض السُلوان دمعي وانما

نـــزفت دمـــوعي في فـــراق الاصـــاحب]

وبعد هذا الحزن على فقدان الحياة في هذا الجبل يرسم الشاعر صورة مبالغة جميلة ليعبر عن فقد الاحبة ، فالجبل انسان فقد احبته ، ومن شدة حزنه على فراقهم لم يتسل عن فقدهم ولم تحتبس دموعه وانما على العكس من ذلك فقد نزفت عيونه دموعها (نزفت) والنزف يكون للدم وليس للدموع ، والدموع يقال لها (نرفت) لكنه استعار (نزف) الدم للدموع مبالغة وكناية عن كثرة الحزن على فراق الصحاب . ان الشاعر لم يقل (الصحاب) ، لان هذه اللفظة لا توافق الوزن ولا القافية المطلقة المؤسسة الموصلة بعد ، فضلاً عن ان هناك رواية اخرى للبيت هي (... فراق الصواحب جمع صاحبة) ، وكذلك لم يقل نزفت عيوني وانما نزفت فجعل النزف للدموع مباشرة ، وهي - كما قلت - صورة مبالغة جميلة للتعبير عن شدة الحزن الذي لا يسليه شيء .

٢١ - [فحتى متى أبقى ويظعن صاحب

أودِّع منـــه راحـــلا غـــير آيب]

ويضجر الجبل من حياته وسكونه واستقراره ، سئم بقاءه ومسير الصحاب الراحلين غير العائدين ، لقد بلغ الحزن عنده الى حد الجزع واليأس من التوديع ورحيل الاحبة غير العائدين ، والوداع موقف حزين وهو لا يريده باستمرار فقد جزع منه وفرغ صبره ، ويستفهم الى متى يستمر في هذا الموقف ، فطابق بين المفردات التي يتمنى فيها ان ينتقل سريعاً من هذا الموقف المأساوي [ابقى ، يظعن ، اودع ، راحلا ، غير آيب] .

٢٢ - [وحتى متى ارعى الكواكب ساهراً

فمن طـــالـــع اخـــرى الليـــالي وغـــارب]

لقد سئم الجبل حتى مراقبة الكواكب : ظهورها ومغيبها ، سئم سهره وشعر بالتعب من شدة الحزن ، فهل يبقى ساهراً الى ما لانهاية ليراقب الكواكب تطلع وتغرب ، ويبين طلوعها في اواخر الليالي ليؤكد سهره في انتظارها لتغرب اخرى ، وهذه حركة تزخر بالحياة لكنه سئم منها وضجر وتعب من الحياة نفسها بعد ان كان يحبها ، فقد وصل الحزن به الى حدّ الجزع واستخدم لذلك الطباق في : طالع وغارب ، ويلاحظ على هذا البيت والبيت السابق تكرار الاستفهام المسبوق بحتى ليدل على حالة من فقد الصبر والانتظار .

٢٣ - [فـرحماك يـامولاي دعـوة ضارع

يمـــدُّ الى نعمـــاك راحـــة راغب]

وهنا يصل الجبل الى نهاية ضراعته حيث يطلب الرحمة من الرب [يا مولاي] ويتضرع اليه ليمد له يده ويمنحه الراحة مما ألمّ به ، فالالفاظ المتوازنة [نعماك - رحماك ، دعوة - راحة ، ضارع - راغب] تنطوي على دعوة الخلاص من شدة ألمت به ، وهذا يستعير الراحة للراغب وليس لليد ليطلب الراحة والاستقرار النفسي .

٢٤ - [فاسمعني من وعظه كل عبرة
يترجمها عنه لسان التجارب]

وينتقل هنا الشاعر الى نفسه لياخذ العبرة من صورة جبل يقف في وسط الفلاة فيجعله عبرة لمن يعتبر ، فهو يتكلم ويعظ بأن الدنيا في زوال ولا تبقى على حال ، وهذه العظة تحدث بها مع الجبل وسمعها منه ، فكيف سمعها ؟ هل تحدث الجبل ؟ يؤكد الشاعر هنا بان الجبل - كما قال سابقاً - اخرس صامت ، وانما التجارب هي التي تترجم حاله ، فتجعله كأنه ناطق بالعظات والعبر ، فالشاعر هنا اخذ عبرة من موقف الجبل الذي ترجمته عنه التجارب التي تمر بالانسان ، فاستعار صفة انسانية (اللسان) لشيء معنوي هو التجارب ليكني به عن الكلام ، وحالة الجبل هنا تنطق وحدها .

٢٥ - [فسلّى بما ابكى وسرّى بما شجا
وكان على ليل السرى خير صاحب]

وينهي الشاعر قصيدته بانه تسلّى من هذه العظات حين ابكاه وكشف الهمّ عمّا احزنه وكان له خير صاحب ومعين على ليله الذي سار وسهر فيه : فقد طابق بين (سلّى - ابكى) ، (سرّى - شجى) مواصلاً استعارته الحديث مع الجبل وكانه في صورته السردية يتحدث عن شيخ وقور .

٢٦ - [وقلت وقد نكبت عنه لطية
سلام فإنا من مقيم وذاهب]

ثم يودع الشاعر الجبل فيلقي عليه السلام بعد ان يبتعد عنه لنية ينويها ولقصد يقصده ويقول : انا مقيمون وذاهبون ، فهنا يختصر العبرة التي اخذها من الجبل بان الحياة فيها المقيم وفيها الذاهب لينهي صورة الطباق التي بدأ بها القصيدة ، والحكمة هنا ان الدنيا في زوال لا يبقى فيها شيء على حال واحدة ، والجبل هنا يضجر ويسأم من دوامه على حال واحدة لفترة طويلة لانه يحزنه حال فقد الاصحاب .

التقويم العام للقصيدة :

من خلال تحليل قصيدة ابن خفاجة في وصف الجبل يمكن استنتاج ما ياتي :

١ - القصيدة من البحر الطويل تبدأ بمقدمة تقليدية في وصف الرحلة ، ولكن لا يطول نفس الشاعر في هذه المقدمة .

٢ - استخدم الشاعر قافية الباء المكسورة المكونة من اربعة حروف ثانيها ألف التاسيس ، وقد اكثر من حرف المد (الالف) لينفس فيها عن آلامه واحزانه الدفينة في نفسه . وربما كان (الالف) هو الحرف المسيطر على كلماته ليمد في صوته بـ (آهة) الحزن ويجد من خلالها الراحة ، ويكرر احياناً حرفاً معيناً في بيت واحد مرات عدة لفرض ابراز ايقاع معين يساعده في التعبير عن تجربته ، مثل : فحتى متى ابقى - وحتى متى ارعى ، فقد كرر الالف المقصورة ليجد بعض الراحة في التنفيس عن نفسه ، فضلًا على اكثاره من التكرار والجناس ليحدث من تكرار حرف معين صوتاً يتناسب مع تجربته .

٣ - ان الشاعر قد وفق في اشاعة التقسيم والاتزان بين الكلمات والجمل والاشطر في بعض الاحيان فاكسبها رنة موسيقية لطيفة كما في الابيات : الثالث عشر والسابع عشر والتاسع عشر والخامس والعشرين .

٤ - في القصيدة سرد وحوار وكلام وإخبار عن حال ، وقد ابرز عنصر التشخيص حين جعل الجبل شيخاً وقوراً تؤخذ منه العبر والعظات ، ويمكن ان نعزو احساسه بالخوف من الموت ومروره ببعض حالات الضعف خلال حياته التي دعته الى الايمان بحكمة (دوام الحال من المحال) و(كل شيء الى زوال) ، فوجد من ثبات وشموخ الجبل هذا الشيخ الوقور الذي يستطيع من خلاله تقديم خلاصة تجربته في الحياة عظة واستعبار للآخرين ، فالجبل هنا هو الجبل خفاجة نفسه ، الذي ابتعد عن المديح والتكسب وما يشعره بالضعف وطلب الحماية ، فصور نفسه عالياً شامخاً وثابتاً وملجأ لكل من يريد ان يجدالراحة عنده اعتزازاً بنفسه ومحاولة لإبعاد خوفه من الاحساس بالموت ، فهو بهذا يقترب بعض الشيء من فلسفة المعري التشاؤمية التي ترى ان الموت هدف البشرية ، والحكيم من يبتهل الى الله لينقذه باسرع ما يمكن من شقاء الحياة ، ويرفض المعري ان يصيب الآخرين بما قضي عليه ان يتحمل دون غلط منه[١٠] .

٥ - استخدم الصور البلاغية واهمها الاستعارة والكناية والتشبيه مع المحسنات من طباق وجناس ، واكثر من ايراد التضاد في الفاظه وصوره خاصة حين انتقل من وصف جبل زاخر بالحياة الى رسم صورة ميتة لهذه الحياة .

٦ - القصيدة في الحكمة والاستعبار باستنطاق الجبل (وهو شيء جامد غير عاقل ، اخذ العظة من وقوفه وثباته لزمان طويل في مكان مقفر فسيح .

٧ - ان الفاظ القصيدة « لا تخلو من جزالة وقوة ، وجمعت بين الوصف الحسي والمعنوي »[١١] .

٨ - كان ابن خفاجة « كثير النظر والتامل في المشاهدات ، ولا سيما مناظر الطبيعة متاثراً بالمنظورات ، يحرك عقله نظره ، لتناسق الالوان سلطان عظيم عليه ، وكل معلوماته جاءته من طريق النظر الى الاشياء ، فكان يرى ويلاحظ ويعرف كيف يرى وكيف يلاحظ ، ولم يكن له الا ان يلبس هذه المنظورات عبارات

والفاظاً بليغة فصيحة ، واذ كان بطبيعته فنياً كان اختاره للالفاظ والجمل حسناً جداً ، كما يختار المصور الماهر الالوان الجميلة اللازمة له ، لذلك ، كان اسلوبه جميلاً ، وعباراته سهلة ، وكان كلامه سائغاً للنفس ، بعيداً عن كل تعقيد وتركيب ركيك ، او غموض في اللفظ او المعنى ، ولا يكاد القارىء يجد تكراراً في المعاني لبراعة الشاعر في حسن اختيارها ، فكلما مرت بالنفس او السمع تجدد اثرها بتجديد الفاظها ، وتتغير أنماطها بتغير تراكيبها .

ولقد يصف فيخيل اليك انك تنظر في لوحة مصور ، او كان كل معنى في كلامه « كائن حي ، يتحرك امامك »[١٧] ، و« لقد يفكر في شعره فيأتي بافكار جميلة وملاحظات جميلة ، ويخرج من معنى الى آخر ، وقد تكون المعاني معروفة وجديدة معاً ، لانه يبتكر ويبدع في التعبير كقوله :

وليـــل اذا ما قلت قـد بـاد فـانقضى
تكشف عن وعـــد من الظن كـــاذب »[١٨]

القصيدة في نظر الادباء والباحثين :

لقد اهتم ادباء الاندلس بابن خفاجة وتحدثوا عن قصيدته في وصف الجبل بما يؤيد ما ورد عند تحليلها ، ومنهم ابن بسام في الذخيرة ، حيث قال انه « الناظم المطبوع الذي شهد بتقديمه الجميع ، المتصرف بين حكمه وتحكمه البديع »[١٩] .

وقال عنه الفتح بن خاقان في القلائد : « تصرّف في فنون الابداع كيف شاء ، واتبع دلوه الرشاء .. وان وصف شراه والليل يهيم ماله في وضوح ، وخد الثرى بالندى منضوح ، فناهيك من غرض انفرد بمضماره ، وتجرد لحمى ذماره »[٢٠] .

وقام الباحثون المحدثون بموازنة قصيدة ابن خفاجة مع قصائد سابقة تشبهها في الموضوع كقصيدة امرىء القيس التي استنطق فيها الجبل حين قال :

كان ابانا في أفانين وَدْقِه كبير اناس في بجاد مزمل[٢١]

او مخاطبة مجنون ليلى لجبل التوباذ بارض بني عامر حين يسأله عن محبوبته ليلى واين رحلت عنه بعدما كانت مقيمة الى جانبه فقال :

واجهشت للتوباذ حين رأيته وكبر للرحمن حين رآني
فانثنيت دمع العين لما رأيته ونادى بأعلى صوته فدعاني
فقلت له اين الذين عهدتهم حواليك في امن وخفض زمان
فقال مضوا واستودعوني بلادهم ومن ذا الذي يبقى على الحدثان[٢٢]

ورأى د . منجد مصطفى بهجت ان هناك فرقاً كبيراً بين الشاعرين في قصيدتيهما لان قول المجنون خاطرة عابرة لو توقف عندها ابن خفاجة ما بلغ هذا النفاذ ، ولو استوحى من جبل التوباذ شيئاً لكان له فضل اثير ، اذ توالى عشرات الادباء بعده شرقاً وغرباً دون ان يبدعوا مثلما ابدع ابن خفاجة ، وكان من الذين تاثروا به الشاعر الرصافي البلنسي (ت ٥٧٢ هـ) في رائيته المشهورة التي مطلعها :

لو جئت ناز الهدى من جانب الطُّور[٢٣]
قَبَسْتَ ما شئتَ من علمٍ ومن نور

قال فيها :

حتى زمتْ جَبَلَ الفتحين[٢٤] من كَثَبٍ
بساطعٍ من سناهُ غيرِ مبهورِ
للهِ ما جَبَلُ الفتحين من جَبَلٍ
معظَّم القدرِ في الاجبال مذكور
من شامخ الانفِ في سحنائه طَلَسٌ
له من الغيم جيبٌ غيرُ مزرورِ
مُغبِّراً بذراه عن نُزى مَلِكٍ
مُستَقطِرِ الكفِّ والاكناف مقطورِ
تُنسي النجومُ على إكليلِ مَفْرِقِهِ
في الجوِّ حائمةً مثلَ الدنانيرِ
وربما مسحَتْهُ من نوائبها
بكلِّ فضلٍ على فوديه مجرورِ[٢٥]

ونلاحظ في مقطع القصيدة السابقة بوضوح تشخيص الجبل واعطاءه صفة الشموخ والعطاء التي اراد بها الممدوح ، مما يوحي بتاثر الشاعر الرصافي البلنسي بقصيدة ابن خفاجة في وصف الجبل .

ورأى د . متولي بدير ان الاندلسيين اقتصروا على الوصف الحسي المكثر من المحسنات دون ان تحرك في المرء عاطفة[٢٦] . لكنه لو تامل جيداً في قصيدة ابن خفاجة لاخذ العبرة من هذا الجبل الجاثم في مكانه كما اخذ العبرة ابن خفاجة نفسه الذي جاء في شعره « نزوع خاص الى الاحساس بالطبيعة الاندلسية في مختلف وجوه سحرها وجمالها مما يكسبه نكهة اندلسية يشيع فيها نبض من اصالة وملامح من جدة في هذا الباب لا تنكر »[٢٧] .

كلمة اخيرة :

ومن اعجاب الباحث عبد الرحمن جبير بقصيدة ابن خفاجة في وصف الجبل رأى انها فن « يقسده الشرح والتفسير ، مجمالة في ان يبقى هكذا متحد الاجزاء ، متصل الانسياب ، متدارك

النغمات ، كطاقة من الزهر ، جمالها في ان تبقى طاقة زهر ، لا ان يبحث فيها باحث ، او يعبث فيها عابث »[٢٨] .

وهكذا نجد ان قصيدة ابن خفاجة في وصف الجبل قد استاثرت باهتمام الادباء في كل مكان لما فيها من ابداع في القول والوصف والتشخيص وللوحدة الموضوعية التي تتمتع بها ولاستنباط العبرة منها بما ينفع الانسان كل حين .

ونختم دراسة قصيدة الجبل بما قاله د . سعد اسماعيل شلبي عنها :

« لقد طور الاندلسيون معاني الرثاء والزهد والهجاء والغزل ، كما تطوروا في الحديث عن الطبيعة وتاملها كما صنع ابن خفاجة في وصف الجبل ، فإن هذه القصيدة لتدل على يقظة الفكر وبعد النظر في شعورهم وجولاتهم وراء المكشوف من مظاهر الحياة »[٢٩] .

الهوامش :

(١) حقق ديوانه السيد مصطفى غازي ، الاسكندرية ، منشاة المعارف / ١٩٦٠ .

(٢) انظر ترجمته في المصادر الاتية : قلائد العقيان للفتح بن خاقان ، تح : حسين خريوش ، عمان ، مكتبة المنار ، ١٩٨٩ ، ٤ / ٧٣٩ ـ ٧٦٦ ، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام ، تح : احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٨ ، ٥٤١/٢/٣ ـ ٦٥٢ وفيه اورد نصوصاً كثيرة جداً من شعره ونثره ، خريدة القصر للعماد الاصفهاني ، تح : عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، ١٩٦٩ ، ١/٢ ـ ٦ ، بغية الملتمس للضبي ، تح : ابراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري واللبناني ١٩٨٩ ، ١٨٦ ـ ١٨٧ ، المغرب لابن سعيد تح : النعمان بن المتعال القاضي ، القاهرة ، مطابع الاهرام ، ١٩٧٣ ، ٨٧ ، نفح الطيب للمقري ، تح : احسان عباس ، بيروت دار صادر ، ١٩٦٨ ، صفحات متفرقة منها : ٢١٠/١ ، ٦٧٧ ـ ٦٧٨ ، ٦٨١ ـ ٦٩١ .

(٣) البغية ٢٦٥/١ ـ ٢٦٦ .

(٤) تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين لإحسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧١ ، ٢٠٤ ـ ٢٠٧ .

(٥) ديوان ابن خفاجة ٢٩٠ .

(٦) تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين : ٢١٢

(٧) م . ن ٢٠٨ .

(٨) ديوان ابن خفاجة ٢١٥ ـ ٢١٧ .

(٩) القاموس المحيط للفيروز آبادي باب النون فصل الراء .

(١٠) القاموس المحيط باب الحاء فصل الطاء .

(١١) م . ن باب الباء فصل الدال والذال .

(١٢) م . ن باب الباء فصل الغين .

(١٣) م . ن باب النون فصل العين ، باب الخاء فصل الباء .

(١٤) القاموس المحيط (باب الجيم فصل الدال والذال وباب الباء فصل الهمزة) .

(١٥) اللزوميات للمعري ، القاهرة ، المطبعة الجمالية ، ١٩١٥ ، ٣١/١ ؛ تاريخ الادب العباسي ، رينولد . ا . نيكلسن ، ترجمة : حقاء خلوصي ، بغداد ، المكتبة الاهلية ١٩٦٧ ، ٩٥ .

(١٦) قضايا اندلسية : بدير متولي حميد ، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٦٤ ، ٢٠٩ .

(١٧) بلاغة العرب في الاندلس ، احمد ضيف ، مطبعة مصر ، ١٩٢٤ ، ١٩٥ .

(١٨) م . ن ١٩٩ .

(١٩) الذخيرة ٥٤١/٢/٣ .

(٢٠) قلائد العقيان ٧٣٩/٤ ـ ٧٤٠ .

(٢١) ديوان امرىء القيس ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٤ ، ٢٥ . شبه الشاعر (ابان : جبل في فزارة) حين غشيه المطر وعنه الخصب بشيخ ضعيف في بجاد .

(٢٢) كتاب الامالي لابي علي اسماعيل بن القاسم القالي ، بيروت ، دار الفكر ، ٢٠٧/١ .

(٢٣) الطور : الجبل (القاموس المحيط ، باب الراء ، فصل الطاء ، لان الممدوح نزل بجبل الفتح .

(٢٤) جبل الفتح ثناه وهو مفرد ومثل هذا كثير في الشعر .

(٢٥) ديوان الرصافي البلنسي ، جمعه وقدم له د . احسان عباس ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٣ ، ٢٥ ، ٨٧ ، ٩٢ ؛ الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢ ـ ٨٩٧ هـ : د . منجد مصطفى بهجت ، الموصل ، مديرية دار الكتب في جامعة الموصل ، ١٩٨٨ ، ٢٩٨ .

(٢٦) قضايا اندلسية ٢٠٩ ـ ٢١٠ ؛ البيئة الاندلسية واثرها في الشعر : سعد اسماعيل شلبي ، مصر ، دار النهضة ، ١٩٧٨ ، ٢٨٩ .

(٢٧) الشعر والبيئة في الاندلس : ميشال عاصي ، بيروت ، منشورات المكتب التجاري ، ١٩٧٠ ، ٩٤ .

(٢٨) ابن خفاجة الاندلسي : عبد الرحمن جبير ، بيروت ، دار الافاق الجديدة ، ١٩٨٠ ، ١٠٧ .

(٢٩) البيئة الاندلسية ٣٨٨ .